(إذا زلزلت الأرض زلزالها [1] وأخرجت الأرض أثقالها [2] وقال الإنسان ما لها [3] يومئذ تحدث أخبارها [4] بأن ربك أوحى لها [5] يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم [6]) افتتاح الكلام بظرف الزمان مع إطالة الجمل المضاف إليها الظرف تشويق إلى متعلق الظرف إذ المقصود ليس توقيت صدور الناس أشتاتا ليروا أعمالهم بل الإخبار عن وقوع ذلك وهو البعث ثم الجزاء وفي ذلك تنزيل وقوع البعث منزلة الشيء المحقق المفروغ منه بحيث لا يهم الناس إلا معرفة وقته وأشراطه فيكون التوقيت كناية عن تحقيق وقوع الموقت .

ومعنى (زلزلت) : حركت تحريكا شديدا حتى يخيل للناس أنها خرجت من حيزها لأن فعل زلزل مأخوذ من الزلل وهو زلق الرجلين فلما عنوا شدة الزلل ضاعفوا الفعل للدلالة بالتضعيف على شدة الفعل كما قالوا : كبكبه أي كبه ولملم بالمكان من اللم .

والزلزال : بكسر الزاي الأولى مصدر زلزل وأما الزلزال بفتح الزاي فهو اسم مصدر كالوسواس والقلقال . وتقدم الكلام على الزلزال في سورة الحج .

وإنما بني فعل (زلزلت) بصيغة النائب عن الفاعل لأنه معلوم فاعله وهو ا تعالى .

وانتصب (زلزالها) على المفعول المطلق المؤكد لفعله إشارة إلى هول ذلك الزلزال فالمعنى : إذا زلزلت الأرض زلزالا .

وأضيف (زلزالها) إلى ضمير الأرض لإفادة تمكنه منها وتكرره حتى كأنه عرف بنسبته إليها لكثرة اتصاله بها كقول النابغة : .

أسائلتي سفاهتها وجهلا ... على الهجران أخت بني شهاب أي سفاهة لها أي هي معرفة بها وقول أبي خالد القناني : .

وا أسماك سمى مباركا ... آثرك ا به إيثاركا يريد إيثارا عرفت به واختصصت به . وفي كتب السيرة أن من كلام خطر بن مالك الكاهن يذكر شيطانه حين رجم (بلبله بلباله) أي بلبال متمكن منه . وإعادة لفظ الأرض في قوله (وأخرجت الأرض أثقالها) إظهار في مقام الإضمار لقصد التهويل .

والأثقال : جمع ثقل بكسر المثلثة وسكون القاف وهو المتاع الثقيل ويطلق على المتاع النفيس .

وإخراج الأرض أثقالها ناشئ عن انشقاق سطحها فتقذف ما فيها من معادن ومياه وصخر . وذلك من تكرر الانفجارات الناشئة عن اضطراب داخل طبقاتها وانقلاب أعاليها أسافل والعكس

.

والتعريف في (الإنسان) تعريف الجنس المفيد للاستغراق أي وقال الناس ما لها أي الناس الذين هم أحياء ففزعوا وقال بعضهم لبعض أو قال كل أحد في نفسه حتى استوى في ذلك الجبان والشجاع والطائش والحكيم لأنه زلزال تجاوز الحد الذي يصبر على مثله الصبور .

وقول (ما لها) استفهام عن الشيء الذي ثبت للأرض ولزمها لأن اللام تفيد الاختصاص أي ما للأرض في هذا الزلزال أو ما لها زلزلت هذا الزلزال أي ماذا ستكون عاقبته . نزلت الأرض منزلة قاصد مريد يتساءل الناس عن قصده من فعله حيث لم يتبين غرضه منه وإنما يقع مثل هذا الاستفهام غالبا مردفا بما يتعلق بالاستقرار الذي في الخبر مثل أن يقال : ما له يفعل كذا أو ما له في فعل كذا أو ما له وفلانا أي معه فلذلك وجب أن يكون هنا مقدر أي ما لها زلزلت أو ما لها في هذا الزلزال أو ما لها وإخراج أثقالها .

وجملة (يومئذ تحدث أخبارها) الخ جواب (إذا) باعتبار ما أبدل منها من قوله (يومئذ يصدر الناس) فيومئذ بدل من (يومئذ تحدث أخبارها) .

واليوم يطلق على النهار مع ليله فيكون الزلزال نهارا وتتبعه حوادث في الليل مع انكدار النجوم وانتشارها وقد يراد باليوم مطلق الزمان .

و (تحدث أخبارها) هو العامل في (يومئذ) وفي البدل والتقدير يوم إذ تزلزل الأرض وتخرج أثقالها ويقول الناس : ما لها تحدث أخبارها الخ .

و (أخبارها) مفعول ثان لفعل (تحدث) لأنه مما ألحق بظن لإفادة الخبر علما وحذف مفعوله الأول لظهوره أي تحدث الإنسان لأن الغرض من الكلام هو إخبارها لما فيه من التهويل .

وضمير (تحدث) عائد إلى (الأرض)